مجلة كلية العلوم الاسلامية... العدد ٧٣/ ٨ رمضان ١٤٤٤هـ - ٣٠ آذار ٢٠٢٣م

DOI: https://doi.org/10.51930/jcois.21.73.0224

(خطابات "القيام الفاطمي" في ضوء مستلزمات الأقوال المعممة)

شيماء عبد الستار نعمة

Abdshaymaa68@gmail.com

أ.د. نعمة دهش فرحان

جامعة بغداد / كلية العلوم الاسلامية

التخصص العام / اللغة العربية

التخصص الدقيق اللسانيات

Namaa-d@irrocedu.uobaghdad.edu.iq

المستخلص:

ان المساحة التي يشغلها الاستلزام الحواري في اللغة واسعة جداً، إذ إنه موجود في معظم الخطابات التي تلقاها المتلقي، وعدم قصور ذلك على الحوارات، ويجيز لنا ما تقدم ذكره أن نطلق عليه مصطلح (الاستلزام التداولي)، وهذا يتوافق مع المقاربة التداولية والوظيفية التي ترى بأن الخطاب الادبي استلزام حواري وإنجازي، إذ يتعلق الاستلزام بالدلالات الضمنية، وكأن الاستلزام يغطي الأفعال غير المباشرة لنظرية أفعال الكلام.

الكلمات المفتاحية: خطابات – الفاطمي – أقوال

تاريخ استلام البحث ٤/٩/٢٠٢٢	تاريخ قبول النشر ٩/١٢/٢٠٢٢

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد واله الطاهرين، شهد الدرس اللساني تطورات متتابعة ومتسعة، ولا سيما اللسانيات التي تجاوزت التجريد، إلى دراسة اللغة في واقعها الاستعمالي، ووظائفها في التواصل، وكان من بين أهم الدروس التداولية التي شغلت حيزاً واسعاً في اللغة (الاستلرام الحواري) حيث يشمل موضوعه الأساليب اللغوية الرفيعة، كما يشمل الأساليب لي لا تتمتع بالادبية، اذ يعتمد على ثقافة المتلقي وقدرته على تأويل الخطاب، تبعاً لكمية المعارف المشتركة ونوعيتها، وكيفيتها بين طرفي الخطاب.

وكان بحثي موسوم بـ(الاستلزام الحواري في خطاب القيام الفاطمي تنظير وإجراء) إذ تضمن التعريف بمفهوم الاسلام الحواري وتصنيفاته، كما تطرقنا لنظرية غرايس والعوامل التي وضعها عند تأويل الخطابات اللغوية التي تتجسد بالآتي: (معنى الجملة، المقام الذي تنجز فيه الجملة، مبدأ التعاون) وتطرقت الى مبادئ الاستدلال المعنى الضمني وكانت لكل منها تطبيقات من خطاب القيام الفاطمي لتضمنه لتلك المبادئ الاستدلالية، حيث كانت الخطابات ثرية بالنصوص التداولية محاولة الكشف عن تطبيقاتها الإجرائية ومبادئها الخطابية.

مفهوم الاستلزام الحواريّ وتصنيفاته

يُعَرَّف الاستلزام الحواريّ بأنه: "المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة"[1] أو هو: "ما يرمي إليه

المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلًا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهريّ لكلامه إلى معنى آخر"[٢]. فعلى المتلقي أن يراعي في استدلاله قصد المتكلم؛ لأنَّه أمام قسمين للمعنى: قسم تلفظ به المتكلم، وقسم متضمن في تلفظه، القسم الأول وسيلة، أمّا الآخر؛ فيرمي فيه المتكلم إلى إفهام مُخاطبه معنى ما، مستعينًا بسياق التخاطب، فالمعنى غير المصرح به هو الاستلزام الحواريّ. والمتكلم في حواره قد يقول ما يقصد، وقد يقصد اكثر ممّا يقول[٣].

ويُعدُّ الاستلزام الحواريّ محور الدَّرَاساتِ التَّداوليةِ، من حيث إسهامه في سدّ الفجوة الحاصلة بين المعنى الحرفيّ والمعنى الضَّمنيّ للعبارات، فـ"الاستلزام الحواريّ حلقة الوصل بين المعنى الصريح والمعنى المتضمّن في شكل الجملة"[٤]، اللذين يُعدان النواة التي تدور حولها المفاهيم التَّداوليةّ؛ لأنَّ الاستلزام يُعنى بالمعاني المستنبطة من تحليل مقاصد المُتكلم ورغابته.

وقد ضعت نظرية الاستلزام الحواريّ القواعد الأساسية التي تحكم التواصل المثاليّ؛ إذ "توافق الاستلزامات الخطابيَّة الجزء غير الحرفيَّ من القول الذي يكون موضوعه التّواصل وهدفه"[٥]، والذي يحدث مرّة بِموافقة القواعد التي ينطوي عليها مبدأ التَّعاون كما هو الحال في الاستلزام الحواريّ المُعمّمِ الذي يرتكزُ عَلى الدَّلالات المُعْجَمِيةِ والمِنْطِقِيَّةِ والِخلفيَّات المعرفيةّ المشتركة أكثَر من ارتكازه على السّياقِ، وَيَحدُثُ مرّة أُخرى بِخرق المتخاطبين واحدة أو اكثر من قواعد المُحادثَة التَّي ينطوي عليها مبدأ التَّعاون، بمعونةِ السيّاقِ، كما هو الحال في الاستلزام الحواريّ المخصَّص، فتُنقَّلُ دلالات التراكيب اللغوية من دلالتها المضمرة.

وتنسب هذه النظرية إلى الفيلسوف بول غرايس، فقد وضع أسسها في المحاضرات التي ألقاها في جامعة هارفرد عام ١٩٦٧م، وقدّم تصوّراته المعرفية عنها، ووضع الأسس المنهجية التي تقوم

عليها أيضًا، ثُم لُخصت بالمقال المعروف باسم (المنطق والمحاورة)[١]. وقد كانت التأويلات الحاصلة في اقوال المتكلمين وخطاباتهم هي الشغل الشاغل لدى غرايس، وكان من نتائجه المهمة تقديم دراسة تبحث هذه الأقوال وتبيان كيفية تمظهرها.

ويُعدُّ بول غرايس أيضًا "أول من قدّم دراسة نسقية منهجية تعالج الاختلاف بين المعنى لدى المُتكلّم ومعنى الجملة، وما يقتضيه المُتكلم وما تقتضيه الجملة"[٢]، فقد رأى أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون خلاف ما يقولون[٣]، بمعنى أنَّ الملفوظات قد تتيح خيارات متعددة للتركيبة الواحدة، ومن ثَمَّ يصبح المعنى الحرفيّ متعذّرًا إذا اقتصرنا عليه في تبيان مقاصد المُتكلّمين واغراضهم، ولا بُدَّ من الاستدلال على المعنى القصديّ في اطار سياق التخاطب[٤]. وقد أكد غرايس أنّ "التأويل الدلاليّ للعبارات في اللغات الطبيعية أمرٌ متعذرٌ إذ ما نظرنا فقط إلى الشكل الظاهريّ لهذه العبارات"[٥].

وترى الباحثة أنَّ عبارة غرايس آنفة الذكر ليست دقيقة؛ إذ إنَّ اللغة لها مستويان في الاستعمال، لكلٍّ واحد منهما خصائصه ومزاياه، بل لكلٍّ واحد منهما مستعمله من أبناء اللغة الواحدة، ويتمثل المستوى الأول في المستعمل الذي لا يلتفت إلى الفروق الدقيقة بين العبارات المتقاربة، فضلًا عن غيرها.

أما المستوى الثاني؛ فيتمثل بالمستعمل الذي يجيد انتخاب العبارة، ويعرف دفائن اللغة وأسرارها، وقد أشار الدكتور فاضل السامرائي إلى ذلك بقوله: "في الكلام الفنيّ قد يختار المتكلم حرفًا على حرفٍ، أو لفظًا على لفظٍ؛ لأداء معنى معين أو لدلالة معينة، وربما لم يستعمل الحرفين في معنى واحد، كما يستعمله المتحدثون في أمورهم اليومية... وهذا الاستعمال الفني هو الذي يدفع اللغة إلى أمام، فيجعلها أكثر دقةً وتخصَصًا وغناءً،

ونماءً لا الاستعمال العامي الساذج غير المخصّص ولا الدقيق"[1].

ومما جاء في خطاب القيام الفاطميّ ما وجِه من سؤال لقائله اليعقوبيّ، يتردد على ألسنة الخطباء، وفي بعض الكتب، أنَّ الزهراء (عليها السلام) سميت فاطمة؛ لأنَّها فُطمت هي ومحبوها من النار، فهل هذا معنى يمكن قبوله، وأنّ مجرد حبّ فاطمة (عليها السلام) ينجي الشخص من دون عمل؟ فكان جوابه على عدة مستويات: "**إنَّ هذا المعنى قد ورد في روايات معتبرة، وإذا كان الأمر كذلك؛ فعلينا التسليم والقبول لما يصدر عن النبي (صلى الله عليه وآله) ولو كان سند الحديث غير معتبر لشككنا في صدوره**"[2]، ويستشهد بالحديث المعتبر ما رواه محمد بن مسلم، قال: "**سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: لفاطمة (عليها السلام) وقفةٌ على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة، كُتِبَ بين عيني كلِّ رجلٍ: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبٍ قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محبًا، فتقول: إلهي وسيدي سميتني فاطمة، وفطمت بي من تولاني وذريتي من النار، ووعدك الحق، وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عزّ وجلّ: صدقتِ يا فاطمة إني سميتك فاطمة، وفطمت بك من أحبك وتولاك وأحب ذريتك وتولاهم من النار، ووعدي الحق، وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار؛ لتشفعي فيه، فأشفعك، وليتبين لملائكتي وانبيائي ورسلي وأهل الموقف، موقفك مني، ومكانتك عندي؛ فمن قرأتِ بين عينيه مؤمنًا فخذي بيده وأدخليه الجنة**"[3]. وبيّن الخطيب أنّ هذه الرواية أو الحديث لم يقتصر على علماء الشيعة، بل نقلت من علماء السُّنة والجماعة بطرائق متعددة.

أما المستوى الدلاليّ الثاني الذي يرد فيه الخطيب على السائل؛ فيقول: "**إنّ الحب الوارد في الرواية لا يراد به الميل العاطفيّ الذي ربما ينشأ من تعصب لموروث**

اجتماعيّ، أو تقليد الآباء والأجداد، وهذه مناشئ لا قيمة لها، وإنما يراد به الحب المبني على المعرفة، والذي تقترن به ملازماته؛ من اتباع سيرة المحبوب، وادخال الرضا عليه، وكما قال الشافعيّ(٤):

تعصي الإله وأنت تزعم حبَّهُ

هذا محالٌ في القياسِ بديعُ

لو كانَ حُبّك صادقًا لأطعتَهُ

إنَّ المُحبَّ لِمن أحبَّ مطيعُ

يتضح من الحوار الذي جرى بين السائل والمجيب، أنّ دخول الجنة يتوقف على الحب، والحب متوقف على المعرفة، فليس المقصود منه ذلك الحب العاطفيّ الظاهر من العبارة الذي ينشأ تقليدًا، أو وراثةً، أو هوىً وعاطفةً، بل الحبُّ المضمر في القول (المتضمن في القول) والمبني على معرفة أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهم فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقد عرفنا ذلك من السياق، ومقتضى الحال؛ لذلك نجد غرايس قد وضع نظرية تأخذ بالحسبان عوامل متعددة عند تأويل الخطابات اللغوية، وتتجسد بالآتي(٥):

١ــ معنى الجملة التي يتلفظ بها المتكلم في علاقته بالمستمع.

٢. المقام الذي تنجز فيه الجملة.

٣. مبدأ التعاون.

وسنفصل القول بأهم المفاهيم والمصطلحات لهذه النظرية.

المعنى الضّمنيَّ:

مثّل المعنى مشغلًا لاختصاصات مختلفة منذ بدايات البحث فيه، وبات في العصر الحديث أنّ المعنى هو محور المنهج التّداوليّ، وقد صَنّف على أساس دلالة اللفظ عليه، فما ارتبط بالبنية اللّغويّة مباشرة سُمّي الظاهر أو بالمباشر أو بالصريح، وإنّ لم يرتبط بالبنية اللّغويّة سُمّي بالضَّمنيّ أو غير المباشر.

ويُستنتّج المعنى الضّمنيّ بوساطة عدةّ وسائل، جاء في (المعجم الفلسفيّ): "الضمّنيّ هو المنسوب إلى الضمنيّ، وهو باطن الشيء وداخله، وضده كما قلنا الصَّريح، نقول: يفهم من كلامه

كذا، أي من دلائله ومراميه، وكُلُّ معنى يتضّمنه النص دون التصريح به فهو معنى ضّمني"[٦]، أو "هو ما يمكّننا من قول شيء دون أن يقوله، وإن يكون قد قاله"[٧]. فـ"الضّمني هو اشياء تُقال بعبارات مقنعة، وآراء، وافكار مبطَّنة، ومضمرة، تحت الأسطر وبينها، تفرض على المُخاطب التفكير في شيء له صلة بما قيل"[٨].

ومن اهم سمات هذا المعنى أنّه خفي، بمعنى أنَّه غير مذكور أو غير مُعبّر عنه صراحة، لكنَّه ثابت استلزامًا، ينشأ ويتولد مع المعنى الأصليّ للعبارات اللُغوية، فبمجرّد ذكر معنى من المعاني؛ يدعو ذلك إلى تولد هذا المعنى، وتكوّنه، بمعنى أنَّ التواصل اللغويّ يحتضن إلى جانب مستوياته اللَّغوية مستويات خارجيّة، مقاميّة، وسياقية، ونفسية عامّة، تشترك جنبًا إلى جنب مع المكوُّنات اللغوية في عملية التخاطب اللَّغويّ؛ إذ توّلد مجتمعة معاني إضافية إلى جانب المدلول الأصليّ للعبارات، ويسعى المنهج التداوليّ إلى تبيان سيرورة في الاستدلال على المضمر الخطابيَّ باسترفاد أعراف الاستعمال واستحضار مقاصد الخطاب، ومقام التفاعل التواصليّ، على مستوى انتاج الخطاب وتلقّيه[٩].

وقد بحث رواد المنهج التَّداوليَّ هذا المعنى في مجالين:

المجال الأول: غرايس في الاستلزام الحواريّ.

المجال الثاني: سيرل في الأفعال غير المباشرة.

إنَّ "التمييز بين المظاهر الصريحة للمعنى ومظاهره الضّمنيَّة هو من خصائص المقاربات التَّداوليّة التَّقليديّة، مثلما هو شأن نظرية أوستن في الأعمال اللَّغوية، أو نظرية غرايس حول الاستلزامات الخطابيَّة"[١٠]، إذ يبحث كُلُّ واحدٍ منهما المعنى الضّمنيّ من زاوية معيّنة، فقد أخذ سيرل الانجاز بوساطة القوَّة الانجازيَّة غير المباشرة، وقدَّم رؤيته الخاصة بِشأن انتاجِها عند المُتكلّم، ثمّ استنتاجها

عند المُخاطب؛ وذلك لكونها نتاج خطابات شفهيَّة أو مكتوبة يوظفها المتكلم ليسهل عليه التعايش مع الاخرين في أغلب الأحيان، وهذه الخطابات تمتاز بأنها تضمُّ بين طياتها قصديَّةٍ تلبّي نزوعه الفكريّ، والنَّفسيّ، والفنَّي، وهي معانٍ إضافيَّة لما تبديه من دلالات ظاهرة قائمة على تضافر العناصر التَّركيبية، والصرفيّة، والصوتيّة، والمعجميّة(١١).

المجال الأول/ غرايس في الاستلزام الحواريّ:

بحث غرايس المعنى الضَّمنيّ باتساع أكثر؛ فهو لم يربط المعنى الضَّمنيّ بالقوة الانجازيَّة، ولم ينظر إلى طبيعة الأفعال الكلاميَّة، بل خصص نظريته لدراسة المعنى بشمولية أكثر، فوجّه جلَّ أبحاثه وعنايته صوب أصول الحوار، فوضع مبدأ (التعاون)، الذي يتضمن أربع قواعد، وربط كذلك المعنى الضمنيّ باستنتاجه، فهو لم يبحث عن القوة الانجازيَّة غير المباشرة، بل عُنيَّ بالتضمينات الخطابيَّة أو بالمعنى المضمر، الذي لا يرتبط بالمعنى المعجميَّ ولا بالصيغة النحويَّة حَسْب؛ بل إنَّه مؤوّلٌ بحسب قصد إنتاجه واستنتاجه. فإذا كانت التأويلات الخطابيَّة في الأفعال غير المباشرة تقوم على مبدأي معنى الجملة الملفوظة والسياق؛ فإنَّ نظريَّة الاستلزام الحواريّ أضحت تقوم على ثلاثة مبادئ، وهي: معنى الجملة، والسياق، ومبدأ التعاون(١٢).

وسنقف على طبيعة استنتاج هذا المعنى؛ كونه وثيق الصلة بالمباحث الحواريّة الاستدلاليَّة، مثل: الاستلزام الحواريّ، والاقتضاء التَّداوليَّ، والافتراض السابق، وغيرها، فلا بُدَّ من استغلال آلياتها، وتتبع مدلولاتها.

مبادئ الاستدلال على المعنى الضَّمنيّ(١٣):

١. المبدأ القصديّ:

شُغِلَ رواد التَّداوليّة بما يحدّد المعنى ويخصّص تضميناته، وتنبهوا على مركزية القصديَّة التي تكاد تسيطر على حركة تحليل

الخطاب؛ كونها أداةً مهمةً من أدوات القراءة الفاعلة للخطابات اللّغويّة، فهي تُعدُّ القاعدة التي تقدمت بوساطتها الدّراسات التداولية خطوات نحو الأمام، فأصبح روادها يعوّلون عليها في تحليلهم الخطابات، ودراستها، فأنموذج التخاطب في بنائه للاستلزامات القصديَّة يعتمد على "مقاصد المُتكلّمين، وانعكاس هذه المقاصد على المُخاطّبين"(١٤).

وممّا نجده في خطاب القيام الفاطميّ أنه ركز في مبدأ القصدية، فلا يمكن معرفة الدلالة الكامنة للّفظ من دون معرفة المقصود منه؛ لأنَّهُ "ليست معرفة المراد سوى معرفة القصد والمقصد، وهذه المعرفة من جملة ما تتقاضاه الدّراسات التَداوليَّة وتبتغيه، وتفتش عنه، من خلال القوانين، ومساطر يُستدل فيها من خلال المنطوق على المفهوم، ومن الصريح على المضمر، ومن خلال الظاهر على المستتر"(١٥).

إذ يتساءل الخطيب اليعقوبيّ عن السرّ في تسمية فاطمة الزهراء (عليها السلام) بـ(أم أبيها) وماذا يعني هذا الاسم؟

فيجيب الخطيب مرتكزًا في إجابته على المبدأ القصديّ؛ إذ يقول: "**إن حُب فاطمة (عليها السلام) لأبيها (صلى الله عليه وآله) وشفقتها وحنوها عليه كان كالذي تغدقُه الأم على ولدها، مع الالتفات إلى إنه ليس مبنياً على العاطفة المجردة، وإنما على المعرفة التامة التي تناسب مقامها المقدس الكامل**(٢):

ويستدل الخطيب بكلامه بالمعاني الدلالية للألفاظ إذ يقول: "إنّ لفظة (الأم) تأتي بمعنى الأصل، كما في قوله تعالى: ((وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَينا)) (الزخرف:٤)، يعني أصل الكتاب أي اللوح المحفوظ، فالزهراء (عليها السلام) أصل أبيها؛ لأنَّ كلَّ نسله وذريته منها، فهي أصل امتداده (صلى الله عليه وآله) إلى يوم القيامة، وهي أصل امتداد رسالته (صلى الله عليه

وآله) إلى يوم الساعة؛ لأنها بموقفها، وتضحيتها، حافظت على خط الإسلام الأصيل، وحفظته من الانحراف والتحريف". وهذا هو المعنى الضمنيّ المحتمل.

ويضيف الخطيب معنىً ضمنيًا ثانيًا لكلمة (أم أبيها) مأخوذ من المعنى الدلاليّ للكلمة، إذ قال: "**وتطلق الأم على خالصة الشيء وعصارته، ومجمع محتوياته، كما تسمى مكة (أم القرى) وتسمى سورة الحمد أم الكتاب؛ لأنها اشتملت على ما في القرآن الكريم من المبادئ العامة، فالزهراء (عليها السلام) أم ابيها بهذا المعنى؛ لأنها جمعت الخصال الكريمة لأبيها**"[١٧]، واعترف لها بذلك اصحاب الرسول وزوجاته، قالت عائشة: "ما رأيت احدًا اشبه سمةً ولا هديًا ولا دلًا ولا حديثًا برسول الله (صل الله عليه وآله) في قيامها، وقعودها من فاطمة بنت رسول الله (صل الله عليه وآله)، وكانت إذا دخلت على النبي (صل الله عليه وآله) قام إليها فقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان النبي (صل الله عليه وآله) إذا دخل عليها قامت من مجلسها، فقبلته، وأجلسته مجلسها"[١٨].

ثم يضيف الخطيب اليعقوبيّ معنىً ضمنيًا ثالثًا جديدًا محتملًا بقوله: "**أن يكون الرسول (صلى الله عليه وآله) قد كنّاها بذلك ليقطع الطريق على مَن تشعر من أزواجه بأنَّ لها شرفًا وتفضيلًا على فاطمة (عليها السلام) باعتبار أنهن أمهات المؤمنين، لقوله تعالى: ((النبيّ أوْلى بالمؤمنين من أنْفُسِهم وأزواجُهُ أُمهاتُهُمْ)) الأحزاب:٦. فكنى فاطمة (أم ابيها)؛ لتتقدم على أزواجه وسائر النساء**"[١٩].

وهذا المعنى المستلزم استخلصه الخطيب من فهمه لقصد المتكلم، وما دفعه لذلك، أنّ أسماء وكنى وألقاب أهل البيت (عليهم السلام) لم تطلق عليهم اعتباطًا، وإنما بمصداقية تامة، تمثل خصالهم، وسلوكهم على أرض الواقع.

ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا: إنّ الفلاسفة قد جعلوا الكلام قائمًا على عنصر القصديّة، وإنّ أيَّ ملفوظ لا يخضع لمبادئها يكون باطلًا وبلا فائدة، يقول الدكتور طه عبد الرحمن: "مبدأ القصدية مقتضاه أن لا كلام من دونه، وصيغته هي أنّ الأصل في الكلام القصد"(٣)، وهذا ما ذهب إليه من قبلُ بول غرايس، وبنى عليه منهجه؛ إذ أكّد أنّ معاني المفردات ليست "مسألة قواعد بقدر ما هي مسألة مقاصد، أي إنَّ ما يقصده المرء هو ما يعنيه بوساطة ملفوظه أو عبره، ولا يكون التواصل ناجحًا إلاَّ إذا عرف السامع المقاصد التي يفصح عنها المُتكلّم"(٢١)، فقد امتلكت هذه الظاهرة بوساطته طاقة تعبيرية هائلة، وواسعة مكنتها من الانفتاح على المعاني التَّواصليَّة والتَّخاطبية.

وأمّا عن الكيفية التي يتم استحصال المعنى بها؛ فإنّها تكون بمنزلة حلقة الوصل بين اللفظ وانجازه، فالملفوظات ناتجة عن توجه ذهن المتكلّم إلى موضوع مُعيَّن، وهذه الموضوعات ناتجة عن ظواهر نفسيّة من الإحساس، والتَّخيُّل، والحاجة إلى أدوات استمرار الحياة لإنجاز التَّواصل؛ لذلك تظهر الألفاظ تبعًا لهذه المعطيات، وربَّما هذا ما جعلهم يؤكدون التَّوجه إليه، والإلمام به، فعندما يتصرف احدهم تصرّفاً مُعيّناً فإنَّنا نتعامل معه على وَفْق مقصده من هذا الفعل، وإن لم نكن مدركين له فإنَّنا نبحث عن الاسباب التي دعته إلى ذلك، و"أما التَّأويل التَّداوليُّ، فإجراء مختلف تمامًا، إذ إنَّه لا يهتم باللّغة بحدّ ذاتها، بل يهتم بالفعل الانساني، فعندما يتصرف شخص على نحو ما يوجد مسوغ دفعه إلى ذلك ومن يقدم تأويلاً لذلك الفعل يبحث عن ذلك المسوغ بمعنى أن يسند إلى الفاعل قصداً خاصاً، يسمح بخلق معنى على ذلك الفعل"(٢٢)، ويتم التأويل بإجراء يتضمن خطوتين(٢٣):

أ – يتوصل المؤوّل إلى التأويل الحرفيَّ لجميع مكوّنات الجملة، ويستعملها بقصد صياغة

المضمون القضويّ، الذي ظهر حرفياً بالنظر إلى سياق المعطى.

ب – على أساس هذه الجملة ومجموع المبادئ الحواريّة يستدل على ما يعنيه المتكلم، وهو المعنى الذي قد يمتاز ممَّا قيل انطلاقاً من القضية التي عبَّر عنها حرفيًّا.

٢. المبدأ السياقيّ:

السياق هو مجموعة الظروف والعناصر المحيطة بالخطاب انتاجاً، وتأويلاً ممَّا له دخل أو غير مباشر في البنية اللغّويّة تكويناً، واتساقاً، وإدراكاً، ويُعدُّ العنصر السّياقيّ من مقومات بناء المعنى الضَّمنيّ المستلزم في نظريَّة الاستلزام الحواريّ، فلا مناص لأيّ باحث تداوليّ من اللجوء إليه واستظهاره؛ لأنّه يؤطر استعمال ذلك الملفوظ ويحددّه، فمنذ دخوله حيّز البحث اللسانيّ، تفتحت الدّراسات الدّلاليّة على مسارات واسعة من مستويات المعنى، لم تكن محطّ عناية الدارسين من قبلُ، ومن ثَمَّ؛ فإنَّه قد أسهم في إخراج الدّراسات الدّلاليّة من قوقعة المعجمات التي كانت متمركزة فيها، ومنكمشة عليها، والتي كانت قاصرة عن بلوغ الغايات، وعاجزة عن تحقيق المراد من الخطاب المنجز، فـ"دلالة العبارة هي استلزام القول للمعنى المقصود من سياقه"(٢٤).

وهنا ما نراه واضحًا في خطاب القيام الفاطميّ، إذ ورد قوله: "**والزهراء فاطمة (عليها السلام) من القمم الشامخة التي يتضاءل أمامها كلُّ العظماء، وتفخر بها البشرية جمعاء، يكفي أنها من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**"(٢٥)، نجد أنّ هناك معنىً ضمنيًا للعبارات اللغوية التي لا يظهر إلا بوساطة معرفة الوقائع الخارجية المحيطة بالنص والمتخاطبين، والوقوف على الظروف الزمانية والمكانية التي تمت فيها عملية التخاطب، إذ يوضح الخطيب أنَّ الزهراء (عليها

السلام) قمة شامخة في كلِّ زمان، وفي كلِّ مكان؛ كونها ممن عنتهم الآية الشريفة" ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) (آل عمران: ١٠٣).

يستمر الخطيب في سياق الحديث عن الزهراء ولبيان مكانتها الشريفة قائلًا: "وكفى بفاطمة شرفًا وعظمةً أنها ممّن عنتهم هذه الآية، وأعطتهم هذه المنزلة الرفيعة"[٢٦]، ثم يستشهد بحديث قدسي عن الله تبارك وتعالى: ((إنني ما خلقت الكون إلّا لأجل الانوار الخمسة))[٢٧]؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى خلق الكون وما فيه، لكي يُعرف ويُعبد، قال تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) (الذاريات:٥٦)، وقد فسرها الائمة بأنَّه (ما خلقت الجن والأنس إلا ليعرفون)، ولم يتحقق هذا الهدف كاملًا إلّا عند هؤلاء الخمسة المعصومين (عليهم السلام)؛ إذ "**تتحقق المعرفة بدرجات متفاوتة عند الاخرين من كرام الخلق وعلى رأسهم الانبياء (عليهم السلام) والرسل، ثم العلماء والصالحين، وهكذا، وما لاحظناه في الروايات والأحاديث أنَّ درجات الخلق في الجنة تتفاوت بحسب معرفتهم، فأكمل الخلق أكملهم معرفةً، وهو رسول الله (صلى الله عليه واله) ومعه أهل بيته**"[٢٨].

فسياق الحديث المتقدم يمثل واجهةً معرفيةً تؤطر الخطاب، وتسير به نحو الوضوح والبيان، فكثير من المفردات التي يستعملها الناس والخطباء، يصعب فهم مغزاها من دون معرفة السياق المحيط بها؛ لأنَّه يساعد على تقسيم المضامين الحواريّة الخفية التي لا يمكن الوقوف عليها إلا باستحضاره، والاعتماد عليه، فيتجلى ذلك في المستوى التداوليّ؛ إذ "يدخل المقام بشكل واضح عندما يتعلق الأمر بالمدلولات الضَّمنية، سواء تعلق الأمر بالتضَّمين المجازيّ أم الانجازيّ"[٢٩].

وثمة تقسيم للسياق الداخليّ والخارجيّ، وتنوع أصناف الأسيقة

المحيطة بالخطاب، مثل: السياق الثقافيّ، والعاطفيّ، والموقف، والاجتماعيّ، ونحو ذلك. وللسياق الخارجيّ عناصره، مثل: طبيعة الخطاب وأغراضه، وطبيعة المُخاطَبين ومستواهم الثقافيّ، والخبرات الثقافية التي تكوّن مجموعة المعارف التي تغذّي الخطاب وتمدُّه في المكوّنات، وتمكّننا من تلقّيه، وتأويل مضامينه.

٣. مبدأ الإضمار التداوليّ:

يقوم هذا المبدأ على أنَّ الأقوال المستعملة في سياقات خاصة كثيرًا ما تكسب المعاني، وتتضمن كثيرًا من الدلالات التي تولد نتيجة التفاعل التواصليَّ، "والرَّأي الضَّمنيّ هو الرأي الذي لا يستطيع صاحبه أن يصرّح به لسبب داخليّ أو خارجيّ"[٣١]، لذلك وجب علينا أن نكون محدّدين قدر الامكان المعطيات الخارجية التي تسهم في تباينها قبل الولوج إلى مفهومها العام.

وسنحاول في هذا المقام الوقوف على العناصر الأُخر التي تؤطّر المعنى وتظهره، فقد يحتاج المعنى إلى بعض المواضعات الاجتماعيَّة المحيطة: لأنَّ المعنى لا يدور حول فلك القصد وفلك السَّياق المقاميّ وحدهما، وإنَّما يدور أيضًا حول فلك اجتماعي قائم على المعارف المشتركة بين المتخاطبين، وسنضعها في قسمين:

القسم الأول: يتمثل في المعلومات المشتركة بين كُلٍّ من المُتكلِّم والمُخاطب، فمن خلالها تتجاوز اللُّغة وظيفتها التَّعبيريَّة إلى تحقيق أفعال انجازيَّة[٣٢]، فكما هو معروف أنَّ أيَّ تواصل لا يوسم بالنَّاجح إلَّا إذا كان قائمًا على معارف مشتركة سابقة، يتبادلها المتخاطبون، ويستثمرون بها فيما بينهم؛ لأنهم الأساس في خلق التَّعابير الحواريّة وإعطائها معناها؛ إذ يتبادل فيه المُستقبِل والمُرسِلُ دوريهما تعاقبيًا في سيرورة سؤال وجواب[٣٣].

القسم الآخر: يتمثّل في القرائن شبه اللسانية، والمقصود بها الايماءات

وحركات اليدين والجسم، أو ما اصطلح عليها بلغة الجّسد، فمن المعروف أنَّ الطريقة التي يستقبل بها المُخاطب أيّ خطاب لغويّ قد تتأثر بهذه الصور غير اللفظية، من حيثُ كونُ تأثيرها أكبر من تأثير العبارات المنطوقة أنفسها، فإشارات اليد وتلويحاتها، والوضعية الجسديَّة للمتكلّم بريئة وغير مقصودة؛ لكون الداعي لها نفسيًا قائمًا على اللاوعي؛ لذلك فهي تكشف عن جوانب مهمة في شخصيته لحظة التلّفظ بالقول، كأن تكون عصبيًا او هادئاً... إلخ[٣٤].

وهذا واضح في كل خطابات الخطيب مما يدلل على اهمية الهيئة الخارجية وان تكون مؤثرة وفاعلة فلا فائدة ان اتكلم عن امر محزن مع هيئة مفرحة وبالعكس، ولذلك كان الخطيب مراعياً للصورة والصوت من حيث الشدة والإخفات وحركات اليدين المتزنة، فهو شخصية اجتماعية وذو هيبة وحركاته لا يشوبها الخوف او الارتباك، وفي خطابه الاخير المعنون (القيام الفاطمي) نصرة لله تعالى، والذي يمثل منهجاً رئيسياً وبرنامج عمل للمؤمن الذي يريد ان يعرف كيف ينصر الزهراء (عليها السلام)، حيث بيّن الخطيب الخطوط العامة لتلك النصرة انطلاقاً من الآية المباركة (يا أيها الذين امنوا كونوا انصار الله) (الصف : ١٤) وهي خطوط وبرامج يمكن لكل انسان مؤمن ان يدركها ويعمل على تطبيقها، وقد وضحها الخطيب بنقاط متسلسلة، ومنها ان تكون النصرة خالصة لله تعالى لا شرك خفياً فيها فضلاً عن الظاهر، ولا طمع دنيوياً بمال او منصب ولا تقرب مكانياً او حسياً[٣٥]. والذي نريد ايضاحه ضمن هذا المبدأ، هو خروج الخطيب منفرداً وليس كعادته، حيث كان يتم اختبار مجموعة من الفضلاء العلويين (السادة) وهذا الامر الخارق للعادة والعلاقة الظاهرية الجسدية ((خروج الخطيب منفرداً)) له مغزى ودلالة نفهمه من دلالة الخطاب المتعلقة بالنصرة،

حيث يوضح الخطيب انه بطلب النصرة من الجميع معممين او غير معممين، من سادات بني هاشم او غيرهم، تلك النصرة التي فيها زمرة لدين الله تعالى، لمواجهة الانحرافات التي تعصف بالأمة، والتي جعلت الزهراء (عليها السلام) في زمانها تخرج رافضة في وجه الكلمة، يريد الخطيب النصرة بلا استثناء من ذلك، فقد بوحي وجود بعض الاشخاص خلفه بأنهم مستثنون، فأراد ان يوضح ان الكل مشمول بالخطاب، لذا كان الخطيب وحيداً ورافعاً صوته للدلالة على طلب النصرة.

النتائج

١- التواصل اللساني عملية معقدة يخضع خطاب المتكلم فيها لطبيعة القصد ولسلطة المقام التي تحدد مسالك الخطاب وبنائه وما يطرأ على أصوله اللسانية من تغييرات عارضة، تخضع فيها لقرائن المقام التي تجعله يفرض تغييرات لكي يضمن نجاح الانجليزية التواصل بينه وبين المتلقي، لذا فإن تحديده وتحليله اقتضى الولوج إلى ثلاثة مفاهيم هي:

١- علاقة البنية النحوية بالوظائف التداولية.

٢- المعاني المضمرة والمباشرة (التوليد والانتاج والتلقي).

٣- المقاصد والغايات والسياق.

وهذه المعطيات الأساسية التي يقوم عليها المنهج التداولي.

٢- إن المنهج التداولي ولا سيما مع الاستلزام الحواري بأبعاده اللغوية منهج كفء لدراسة الخطاب الإبداعي؛ لأن هذا الخطاب يتضمن إضمارات للمعنى أكثر من الخطاب الاعتيادي بوصفه خطاباً ينشأ على الانزياح والعدول عن أصول استعمال اللغة وله سياق خاص بالتلقي، والمنهج التداولي بتقنياته وكفاياته يمتلك القدرة على فهم هذه النصوص وفهم ما هو مضمر ومستقر في قراراتها.

٣- من وظائف المنهج التداولي تحليل الفكر الإنساني وتصوراته ومقاصده وعواطفه، عن طريق تحليل الاستعمال بوصفه للغة؛ كونها مرآة تعكس ما يعتمل في فكره؛ فالعقل البشري يكتسب معارف من المحيطين به ويطورها ويستعملها اعتماداً على الحالة الذهنية لديه ويعكسها اعتمادا على قوة اللفظ عنده.

هوامش البحث

(١) الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة الى وضع القوانين الضابطة لها.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٣، ٣٤.

(٤) النظرية البراغماتية اللسانية: ٨٨.

(٥) القاموس الموسوعي للتداولية: ٩٩.

(١) ينظر: افاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر: ٣٢.

(٢) فلسفة اللغة: ١٨٣.

(٣) التداولية بين النظرية والتطبيق: ٢٠٨.

(٤) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي اداوري: ١٨.

(٥) الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١٨.

(١) معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ٣/ ٩ – ١٠.

(٢) القيام الفاطمي: ٢٣.

(٣) علل الشرائع، للشيخ الصدوق: ١٤٢/١: العلة التي من أجلها سميت فاطمة فاطمة: ٦٢

(٤) ديوان الشافعي: ٥٥.

(٥) ينظر: مقال المنطق والمحادثة، يول غرايس في كتاب اطلالات على اللسانيات الدلالية، ترجمة: عز الدين المجدوب: ١٨.

[٦] ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ١/ ٧٦٢.

[٧] التطور الأصولي للمعنى: ٥ / ٢٥.

[٨] تداولية الضّمنيّ والحجاج، عز الدين الناجح: ٢٠٣.

[٩] ينظر: نظرية التلويح الحواري: ٢٦.

[١٠] ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ١٠٣.

[١١] القيام الفاطمي: ١٠.

[١٢] ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة: ٢٩٥ – ٢٩٦.

[١٣] ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٥.

[١٤] ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة: ٤٨٤.

[١٥] الأفق التداولي: ٢٥.

[٢] القيام الفاطمي: ١ .

[١٧] القيام الفاطمي: ١٠ .

[١٨] فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٣/ ١٥٢، وقد نقله عن صحيح الترمذي وأبي داود ومستدرك الصحيحين.

[١٩] القيام الفاطمي: ١١.

[٣] اللسان والميزان: ١٠٣ .

[٢١] المعنى الحرفي: ١٣ .

[٢٢] المعنى الحرفي: ٩٤.

[٢٣] ينظر: المصدر نفسه: ٥٠ .

[٢٤] اللسان والميزان او التكوثر العقلي: ١٠٣ .

[٢٥] القيام الفاطمي: ٣٤ .

[٢٦] القيام الفاطمي: ٣٥ .

[٢٧] مقطع من حديث الكساء المروي في كتاب عوالم العلوم والمعارف والأحوال، عبد الله البحراني.

[٢٨] القيام الفاطمي: ٣٥ .

[٢٩] التداولية علم استعمال اللغة: ١٥٨ .

[٣١] المعجم الفلسفي: ١/ ٧٦٢ .

[٣٢] ينظر: المحاورة مقاربة تداولية.

[٣٣] ينظر: في التداولية المعاصرة والتواصل، أ– مولز– ك. اوريكيوني، ترجمة وتعليق محمد نظيف: ١٢.

[٣٤] ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة : ١٤٤.

[٣٥] ينظر: وكالة انباء الحوزة العلمية، في النجف الاشرف – واحة.

المصادر

١- كتاب القيام الفاطمي تأليف الشيخ محمد اليعقوبي منشورات دار الصادقين، النجف الاشرف.

٢- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة،٢٠٠٢ م.

٣- النظرية البراغماتية اللسانية، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٣م.

٤- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر- آن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا – المركز الوطني للترجمة، ط٢، ٢٠١٠م.

٥- فلسفة اللغة، صلاح إسماعيل، الدار المصرية اللبنانية، ط١، القاهرة، ١٤٣٩-٢٠١٧.

٦- التداولية بين النظرية والتطبيق، أحمد كنون، دار النابغة للنشر والطباعة، ط١، ١٤٣٦-٢٠١٥.

٧- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدواري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

٨- معاني النحو، فاضل السامرائي، الجزء الثالث، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، عمان، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٩- محل الشرايع، الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن بابوية القمي، بيروت، دار المرتضى للطباعة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م

١٠- ديوان الإمام الشافعي، محمد بن إدريس العباس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت سن النسر: ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م

١١- المعجم الفلسفي، جميل صلبيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م.
١٢- نظرية التلويح الحواري بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، هشام عبد الله خليفه، ط١، الشركة المصرية العامة للنشر لو نجمان ومكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ٢٠١٣م.
١٣- التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط١، الأردن – أربد، ١٤٣٢-٢٠١١م.
١٤- اللسان والميزان أو التكوثر العلقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، الرباط، ١٩٩٨م.
١٥- اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة، مجموعة مؤلفين، منشورات الاختلاف، الجزائر ٢٠١٥م.

References

1-Kitāb al-Qayyām al-Fāṭimī ta’līf al-Shaykh Muḥammad al-Ya‘qūbī Manshūrāt Dār al-Ṣādiqīn, al-Najaf al-Ashraf
2-Afāq jadīdah fī al-Baḥth al-lughawī al-mu‘āṣir, Maḥmūd Aḥmad Naḥlah, Dār al-Ma‘rifah, 2002 M.
3-al-naẓarīyah albrāghmātyh al-lisānīyah, Maḥmūd ‘Ukāshah, Maktabat al-Ādāb, al-Qāhirah, 2013m.
4-Falsafat al-lughah, Ṣalāḥ Ismā‘īl, al-Dār al-Miṣrīyah al-Lubnānīyah, Ṭ1, al-Qāhirah, 1439-2017.

5-al-Tadāwulīyah bayna al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq, Aḥmad Kannūn, Dār al-Nābighah lil-Nashr wa-al-Ṭibā‘ah, Ṭ1, 1436-2015.
6-alāstlzām al-Ḥawwārī fī al-tadāwul al-lisānī, al-‘Ayyāshī adwāry, Manshūrāt al-Ikhtilāf, al-Jazā’ir, Ṭ1, 1432h – 2011M .
7-alāstlzām al-Ḥawwārī fī al-tadāwul al-lisānī, al-‘Ayyāshī adwāry, Manshūrāt al-Ikhtilāf, al-Jazā’ir, Ṭ1, 1432h – 2011M.
8-ma‘ānī al-naḥw, Fāḍil al-Sāmarrā’ī, al-juz’ al-thālith, Dār al-Fikr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, Ṭ1, ‘Ammān, 1420 H – 2000 M.
9-maḥall al-Sharāyi‘, al-Ṣadūq, Abū Ja‘far Muḥammad ibn ‘Alī ibn Bābawayh alqmy, Bayrūt, Dār al-Murtaḍá lil-Ṭibā‘ah 1427h, 2006m
10- Dīwān al-Imām al-Shāfi‘ī, Muḥammad ibn Idrīs al-‘Abbās al-Shāfi‘ī (t204h), Dār al-Ma‘rifah, Bayrūt sinn al-Nisr : 1410h, / 1990m
11-al-Mu‘jam al-falsafī, Jamīl ṣlbyā, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Bayrūt – Lubnān, 1982 M.
12-Naẓarīyat al-Talwīḥ al-Ḥawwārī bayna ‘ilm al-lughah al-ḥadīth wa-al-mabāḥith al-lughawīyah fī al-Turāth al-‘Arabī wa-al-Islāmī, Hishām ‘Abd Allāh Khalīfah, Ṭ1, al-Sharikah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Nashr Law Najmān wa-Maktabat Lubnān Nāshirūn, Bayrūt – Lubnān, 2013m.
13-altdāwlyāt ‘ilm isti‘māl al-lughah, Ḥāfiẓ Ismā‘īlī ‘Alawī, ‘Ālam al-Kutub al-ḥadīth, Ṭ1, al-Urdun – arbd, 1432-2011m.
14-al-lisān wa-al-mīzān aw al-Takawthur al‘lqly, Ṭāhā ‘Abd al-Raḥmān, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, Ṭ1, al-Rabāṭ, 1998M.
15-al-lughah wa-al-ma‘ná muqārabāt fī Falsafat al-lughah, majmū‘ah mu’allifīn, Manshūrāt al-Ikhtilāf, al-Jazā’ir 2015

(The speech of the "Al Qeyam Al Fatimy " in the requirements of the generalized sayings)

SHAYMAA ABDULSATTAR NEAMAH
Dr. NEAMAH DAHASH FARHAN
University of Baghdad/College of Islamic Sciences,

Abstract

The space occupied by the dialogic imperative in the language is a very wide range, as it is present in most of the speeches received by the recipient, and this is not limited to dialogues. That the literary discourse is a dialogical and fulfillment imperative, as the implication is related to the implicit connotations, as if the implication covers the indirect actions of the speech act theory.

Keywords: letters - Fatimid - sayings